

# مجالس في تدبر القرآن | (330) قوله تعالى: واستعينوا بالصبر

## والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته يقول الله تبارك وتعالى مخاطبا بني اسرائيل في

جملة ما خاطبهم به في هذه السورة الكريمة - [00:00:01](#)

سورة البقرة واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين استعينوا بكل اموركم بالصبر بجميع انواعه وكذلك الصلاة

استعينوا بها بفرضها ونفلها هذه الصلاة شاقة الا على المتقين الخاشعين الذين يخافون الله تبارك وتعالى ويخشونه - [00:00:20](#)

ويرجون ما عنده ويوقنون انهم ملاقوا ربهم جل جلاله وتقدست اسماؤه بعد الموت ويجازيهم ويحاسبهم على اعمالهم وانهم راجعون

اليه يوم القيامة كما قال الله تبارك وتعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم - [00:00:56](#)

وانهم اليه راجعون فهي شاقة الا على الخاشعين الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بهذه الصفة يظنون انهم ملاقوا ربهم والظن المراد به

هنا اليقين فان الظن يأتي لمعنيين بكلام العرب وفي كتاب الله عز وجل. المعنى الاول اليقين - [00:01:22](#)

كما في هذه الاية وكما في قوله تبارك وتعالى عن قول الجن وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ظننا اي علمنا وايقنا وهكذا بقوله

اني ظننت اني ملاق - [00:01:49](#)

حسابية المقصود به انه كان متيقنا ولا ينفع في ذلك الا اليقين ويأتي لي الظن المعروف الذي يكون خلاف اليقين فهذا كما قال الله عز

وجل عن هؤلاء الكفار ان نظن الا ظنا - [00:02:10](#)

وما نحن بمستيقنين فهم يتبعون الظنون والظن لا يغني من الحق شيئا فالله تبارك وتعالى في هذه الاية يقول واستعينوا بالصبر

والصلاح وانها لكبيرة الا على الخاشعين استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين - [00:02:35](#)

هذه الصلاة مع الصبر هما اعظم عونا للعبد على تحمل الصعاب والمشاق ولذلك جاء مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. في قوله

تبارك وتعالى في وصية لقمان لابنه حينما قال له - [00:03:02](#)

يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانهي عن المنكر واصبر على ما اصابك فامرهم اولا باقام الصلاة وذكر الامر بالمعروف والنهي عن

المنكر وعقب ذلك الصبر على ما اصابه فذلك - [00:03:28](#)

عقبه الله تبارك وتعالى بهذا الختم لتلك الاية في وصية لقمان بان ذلك من عزم الامور ان ذلك من عزم الامور. واستعينوا بالصبر

والصلاة استعينوا بالصبر والصلاة على ماذا استعينوا بالصبر - [00:03:49](#)

والصلاة استعينوا بالصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر على الاقدار المؤلمة كل هذا يحتاج الى صبر فهذه ثلاثة

انواع للصبر وهي داخلة في هذا الامر الطاعة تحتاج الى صبر - [00:04:12](#)

يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا وكذلك ايضا ترك المعاصي ومطلوبات النفس من الشهوات المحرمة يحتاج الى صبر فالنفس

تنازعه بفعل شهواتها ومرغوباتها من المعاصي ارتكاب حدود الله تبارك وتعالى. فيحتاج الى صبر - [00:04:34](#)

كل بحسبه من الناس من تنازعه نفسه لاخذ المال الحرام ومن الناس من تنازعه نفسه للنظر الحرام ومن الناس من تنازعه نفسه للظلم

والعدوان لا سيما اذا كان ذلك مقدورا - [00:05:02](#)

له فيتسلط على غيره ان كان ذلك الغير هو ولده او زوجته او من تحت يده من خادم واجير او كان ذلك غير هؤلاء ممن يعملون تحت

يده اوله ولاية - [00:05:21](#)

عليهم والانسان ظلوم جهول فلا يحجزه عن هذه الاوصاف الا الصبر الصبر حبس النفس لان الصبر بمعنى الحبس ولهذا يقال قتل فلان صبوا يعني انه حبس على القتل ضربت عنقه يعني لم يقتل مواجهة - [00:05:42](#)

بميدان المعركة وانما حبس للقتل فهذا الصبر هو حبس النفس فدخل فيه هذه الانواع الثلاثة استعينوا بالصبر والصلاة المكتوبة والصلاة غير المكتوبة الراتبة وسائر النوافل لا سيما قيام الليل - [00:06:02](#)

الله تبارك وتعالى لما ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لما امره بقيام الليل قم الليل الا قليلا ماذا قال له بعد ذلك انا سنلقي عليك قولا ثقيلًا فتحمل اعباء الدعوة - [00:06:27](#)

والصعاب والمشاق التي يلاقونها الداعية في سبيله بطريقه هذه تحتاج الى عزائم وصبر واحتمال والصبر قد ينقطع والانسان القوي قد يضعف ما لم يكن لطف من الله عز وجل بالفتى - [00:06:44](#)

وهذه اللطاف من اعظم مقوماتها واسبابها هي هذه الصلاة ولا حظوا هنا انه لم يقل استعينوا بالصبر والصلاة على كذا على تحمل الاقدار المؤلمة او على المشاق والمصاعب في الاعمال الدنيوية - [00:07:08](#)

وطلب الرزق او على المشكلات والهجوم او على العبادة والطاعة او على جهاد الاعداء وانما اطلقه والاصل ان حذف المتعلق يفيد العموم النسبي يعني حذف هنا المتعلق. استعينوا بالصبر والصلاة على ماذا - [00:07:31](#)

يبقى على اطلاقه استعينوا بالصبر والصلاة على كل مطلوب من مطلوباتكم الدنيوية والاخرية مما تقصدونه وتسعون اليه ومما يقع من غير اختياركم الذي يسعى اليه الانسان ويطلبه مما لا يلحقه فيه تبعه - [00:07:55](#)

يعني غير الاثام والمعاصي والذنوب فهذا صبر مذموم اذا صبر نفسه على طلبها لكن الصبر المحمود هو الصبر على المطالب التي يطلبها العبد مما لا يلحقه فيه تبعه او يكون - [00:08:21](#)

مشروعاً في حقه فمن ذلك المطالب الدنيوية في طلب الرزق وما الى ذلك فالانسان كما قال الله عز وجل لقد خلقنا الانسان في كبد يكابد وليخرجنكم من الجنة فتشقى اشقى - [00:08:41](#)

وقد ذكرت في بعض السنوات الماضية مناسبة تتعلق بهذه الاية فتشقى قلنا انه ذكر الضمير مثني فلا يخرجنكم ادم وحواء واعاد الضمير مفرداً فتشقى من الذي يشقى؟ ادم عليه الصلاة والسلام اخذ منه بعض اهل العلم - [00:09:01](#)

انه اعيد الضمير مفرداً لان الرجل هو الذي يخرج فيضحي يتعرض للشمس ويشقى في طلب الرزق ويعتدل خارج المنزل بيوفر لقمة العيش لزوجته واولاده والمرأة قارة في بيتها فاضاف الشقاء الى من - [00:09:25](#)

الى الرجل ليه لماذا؟ لانه هو الذي يخرج يكابد والمرأة في خدرها لا تخرج كما هي الفطرة فالمرأة تقوم بوظيفتها الرئيسة وهي القيام على الزوج والاولاد وتربيتهم احسن تربية ولا تكل ذلك الى غيرها - [00:09:50](#)

فتكون كمرضعة اولاد اخرى وضيعت اولادها ذاك الضلال عن القصد طعم الاجيرة عند اخرين وتترك الوظيفة الكبرى الاساسية فالمقصود هنا ان هذه الحياة تعب وعناء ومكابدة يخرج الانسان من بطن امه باكياً - [00:10:10](#)

ويلقى انواع المكابدة والتعب من حر وبرد وجوع وعطش والم ومرض وسهر وما الى ذلك ويكابد فاذا اراد شيئاً من هذه الدنيا ان يطلبه من مال ليحصله يحتاج الى عمل كد وشقاء - [00:10:35](#)

واذا اراد ان يتعاطى شيئاً من هذه التي يحصلها من المطعوم والمشروب يحتاج الى ان يعتدل حتى ينضج هذا الطعام ويهيأ ولربما يعجبه او لا يعجبه واذا اراد زوجه يحتاج ان - [00:11:00](#)

يعمل دهرًا طويلًا حتى يحصل المهر وما يتطلبه هذا الزواج وقد تلائمه هذه الزوجة وقد لا تلائمه وقد تكون سبباً لغم وشقاء وهو الذي تعب قد تحصلها فهذه الحياة كبد - [00:11:18](#)

يكابد الانسان بطلبها يكابد مع ولده يكابد مع من حوله فيحتاج الى توطين للنفس على الصبر بانه يصله من انواع التعب والالم والاذى وليس يخلو احد من ضد كما قيل - [00:11:37](#)

ليس يخلو المرء من ضد ولو حاول العزلة في رأس جبل فاذا كان ربنا تبارك وتعالى لم يسلم من الاذى اذى الناس يؤذيني ابن ادم ولا الانبياء عليهم الصلاة والسلام سلموا من الاذى - [00:11:57](#)

دل ذلك على ان السلامة متعذرة اذا احتاج الانسان الى شئ يستعين به لان لا ينفرد صبره فيصدر منه ما لا يليق او ينكسر وينهار يحتاج الى ان يستعين بالصبر والصلاة - [00:12:16](#)

على ايضا فعل العبادات هذه الصلاة التي نصليها هذا الصوم الذي نصومه الى متى نقول طالما ان عقل الانسان معه فانه لا يترك الصلاة وطالما انه قادر على الصوم فانه يصوم - [00:12:35](#)

فهذا لا يحج بسنة وستين وثلاث واربع الى اخره وانما لزوم للصراط المستقيم ولشرائع الاسلام الى الممات هذا يحتاج الى صبر فالمسألة ليست طفرة ان يصلي الانسان اياما ثم يترك - [00:12:55](#)

الصلاة وبملا ما الذي يجعل هذا الانسان يستمر ويصبر الصلوات الخمس اذا اذن المؤذن ترك ما في يده وتوجه الى المسجد هكذا يكون ديدنه في العمر كله فهذا يحتاج الى - [00:13:10](#)

الى استعانة على ذلك بالصبر والصلاة ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وكان يقول ارحنا بها يا بلال وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما - [00:13:30](#)

لما جاءه نعي اخيه قسم نزل عن راحلته وهو في طريقه الى مكة وقرأ هذه الاية واستعينوا بالصبر والصلاة مستقبل القبلة وصى ركعتين فهذا مما يقوي النفس فاذا جاءت المصيبة - [00:13:47](#)

وكان الانسان امام الشدة والصعوبة توشاً ويستقبل القبلة ويكبر ويصلي ركعتين بدلا من النياحة فانها لا ترد فائتاً ولا تدفعوا المصيبة وانما يحصل بها الوزر وفوات الاجر التجلد باستقبال المصائب ونحو ذلك - [00:14:07](#)

يحتاج الى توطين للنفس على الصبر بالاضافة الى هذه الى هذه الصلاة هذه الصلاة تمنح الانسان قوة في التحمل لا يحصل ذلك بدونها بحال من الاحوال ولذلك نجد الذين لا يصلون - [00:14:33](#)

يكون عندهم من قلة الاحتمال والصبر كونوا عندهم من الجزع ما لا يقادر قدره بل ربما يكون الواحد منعما مرفها ومع ذلك يكون في حال من الحسرة بالضيق بالحياة بطبيعتها - [00:14:56](#)

صعبة ولذلك انظروا الى الذين لا يعرفون الله في بلاد الغرب مثلا المصححات النفسية اكناب القلق وقد ذكرت في بعض المناسبات تلك الطبية التي تسأل امرأة حينما رأت صواحباتها يضحكنها - [00:15:14](#)

حينما اتينا لعيادتها فدخلت مرتين وخرجت تنتظر فبعد ان خرجوا سألتها قالت هل انتم تناولتم شيئا قالت لا يعني هل اخذتم شيئا مسكرا او نحو ذلك قالت لا قالت اذا لماذا تضحكون - [00:15:34](#)

قالت سبحان الله نضحك نوانس بعضنا وهكذا مجالسنا نتحدث ونضحك ونسر تعجبت قالت لكننا لا نعرف هذا لان الحياة عندهم شقاء اقول ولذلك كثرت الاعياد عندهم ويكثرون فيها من شرب المسكرات - [00:15:53](#)

من اجل ان يخرجوا من واقعهم ايا كئيبة مع ما هم فيه من مظاهر التقدم المادي كما هو معلوم وهكذا حينما رأت تلك المرأة وقد ظهرت عليها مبادئ الاسقاط اسقاط الحمل ولم تكن تحمل من قبل هذا اول حمل - [00:16:13](#)

فكانت تقدم لها وتمهد بمقدمات طويلة فلما سألتها ما الخبر فاخبرتها ان هذه بوادر اسقاط فقالت الحمد لله عجبت هذه وذهلت كيف تقولين هذا؟ هكذا ببساطة بعد هذا الانتظار هذه السنوات - [00:16:34](#)

ثم يسقط الحمل وتقولين الحمد لله هذا قضاء الله وقدره تعجبت كيف انتم تعيشون فهؤلاء تطحنهم هذه الحياة بما فيها وهؤلاء لا يعرفون الصبر ولا الصلاة قد صدر تقرير قبل سنين في مصر - [00:16:52](#)

عن المخدرات والادمان وما اشبه ذلك وكان في ضمن هذا التقرير مما لفت نظري انه لا يوجد حالة واحدة ان صاحبها يحافظ على الصلاة ولا حالة ما الذي جعلهم يصيرون الى الادمان - [00:17:15](#)

وعلى التمزق هو الروحي فيبحثون عن شئ يحصل به الشرود عن الواقع المشهود عن الحياة الصعبة عن المشكلات التي يواجهونها

فيذهب الى عالم الوهم ويكون كالمستج من الرمضاء بالنار. استعينوا بالصبر والصلاة - [00:17:37](#)

وانها لكبيرة الا على الخاشعين كان الشيخ عمر ابن سليم رحمه الله من علماء القصيم القرن الماضي وعالم معروف وقاضي مشهور كان اذا نزل به مصيبة او نحو ذلك او شدة - [00:17:57](#)

ترك درسه الذي بين العشائين ويصلي ما بين ذلك هكذا كان قديما وحديثا اهله العلم والايمان ثم ايضا لاحظوا قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين كبيرة فحينما يفرض الله عز وجل علينا الصلاة - [00:18:18](#)

هذه عبادة شاقة لكن هي صلة بين العبد ورببه وهي مداواة للنفوس والارواح حينما تكون متصلة ببارئها وخالفها جل جلاله. فذلك هو مدد الحياة لا ولا حياة لها الا بذلك - [00:18:47](#)

تكون كالارض التي قطع عنها سبب الحياة وهو الماء فاذا جفت هذه النفوس وانقطعت الصلة بالله عز وجل التي عنوانها هذه الصلاة فان هذه النفس تتصحرو وتجف ثم بعد ذلك - [00:19:09](#)

يحصل لها الموات قد اخذ من هذا شيخ الاسلام رحمه الله هذا الموضوع انه ليس من حسن الرعاية لمن تحت يد الانسان ان ينظر في رغباتهم فيحقق هذه الرغبات يعني - [00:19:29](#)

ان الوالد حينما ينظر الى اولاده ما الذي يريدون؟ ولو كان يضرهم واذا كان عليهم مشقة في الاستيقاظ للصلاة صلاة الفجر او صلاة الظهر في مثل هذه الايام او الذهاب الى - [00:19:50](#)

الحلقة او غير ذلك تركهم واعاد عليهم هذه الاغطية وتركهم ينامون فهذا من التفریط وليس من حسن الرعاية والقيام عليهم بالتربية الصحيحة النفوس تحتاج الى ان تعالج بما يرفعها وينفعها وقد يكون ذلك - [00:20:05](#)

بامور تشق عليها فالله قد فرض هذه الصلاة واخبر انها كبيرة الا على الخاشعين فلا تنظر الى طبيعة العبادة او العمل النشاق او غير شاق ولكن انظر الى المصالح المترتبة - [00:20:30](#)

عليه وما يحصل بسببه من الثمار الطيبة ثم ايضا يؤخذ من هذه الاية واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الا على الخاشعين يعني تخف عليهم قد منها ان خفة الطاعة من اثار محبة - [00:20:50](#)

المطاع جل جلاله ولهذا فان قررة عين المحب في طاعة المحبوب قد قال النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت قررة عيني في الصلاة قررة العين وانما تقر عين الانسان في الشيء الذي يستلذه ويفرح به ويغتبط - [00:21:15](#)

لان دموع الفرحة كما قيل باردة ودموع الحزن ساخنة وجعلت قررة عيني في الصلاة فهذا فيه ما يكون فيها من الصلة بالله ومناجاته والقرب منه واقرب ما يكون العبد من ربه - [00:21:38](#)

وهو ساجد ثم ايضا دلت هذه الاية على ان الخشوع الا على الخاشعين ومن اعظم ما يخفف هذه العبادات الشاقة التي منها الصلاة والخشوع يكون في الصلاة ويكون وصفا للعبد في كل حالاته. قال فلان من الخاشعين - [00:22:01](#)

من المخبتين فهذا الخشوع اصله في القلب فهو منشأه ومستقره ويكون اثاره على الجوارح يحصل في القلب من الانكسار والاختبات لله تبارك وتعالى فهذا الخشوع مجموع او صاف ينكسر معها القلب لربه وفاطره تبارك وتعالى ويظهر اثر ذلك - [00:22:26](#)

على الجوارح ونجد كلام اهل العلم في تفسير الخشوع يختلف فمنهم من يفسره ببعض مظاهره وهذا كثير ومنهم من يفسره ببعض معانيه او اجزائه او اوصافه قد تكلمنا على هذا المعنى بكلام مفصل في الكلام على الاعمال - [00:22:54](#)

القلبية الا على الخاشعين من هؤلاء؟ يكفي هذا البيان من الله تبارك وتعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون فمن اعظم اسباب المحافظة على الصلاة ايها الاحبة ومن - [00:23:16](#)

اعظم ما يقوي على ذلك هو الاتصاف والتحقق بالخشوع ثم ايضا حينما يتذكر العبد انه سيلاقى ربه تبارك وتعالى فيقف بين يديه ويحاسبه ويجازيه على اعماله فعندها اذا وقف بين يدي الله تبارك وتعالى - [00:23:39](#)

فانه لا يستثقل هذه الصلاة ولذلك كان بعض السلف رضي الله تعالى عنهم وبعض اهل العلم يذكرون هذا المعنى فيما يتحقق به الخشوع ان يستشعر العبد حينما يقف في الصف - [00:24:09](#)

وقوفه بين يدي الله للحساب فيخشع الانسان لو كان يقف امام عظيم من اهل الدنيا فانه لربما يحسب حسابا لتحريك شفته او جفنه فكيف بالوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى - [00:24:26](#)

ثم ايضا حينما يستشعر الانسان انه سيرجع الى الله وانهم اليه راجعون فاليه المرجع المصير العبد سيلاقى ربه وسيرجع اليه فهما موقفان كما قال الحافظ ابن القيم رحمه الله من حسن وقوفه في الموقف الاول رجي ان يحسن وقوفه في الموقف الثاني -

[00:24:44](#)

موقف الاول في الصلاة والموقف الثاني بين يدي الحساب اذا وقف للحساب فهذان موقفان للعبد وهذه الصلاة ايها الاحبة هي مدد للصبر ايضا مدد للصبر وحينما يستشعر الانسان انه سيرجع الى الله تبارك وتعالى - [00:25:08](#)

فذلك مدد اخر يعلم ان الحياة الحقيقية هناك وان هذا مزدرع للآخرة يصبر ويتحمل واذا كان العبد في حال من الخشوع الذي لا يتحقق الا بمحبة الله تبارك وتعالى والخوف منه - [00:25:35](#)

ومراقبته فانه بذلك يأنس بهذه الصلاة ويسر ولهذا كان بعض السلف يقول اني لادخل في الليل فيهلوني فينقضني وما قضيت منه اردي كانوا يقولون اهل الليل في ليلهم يعني اعظم انسا - [00:25:58](#)

من اهل الله و في لهوهم وكان بعضهم يقول عن نفسه ومن على شاكلته انهم في لذة لو علم بها الملوك وابناء الملوك قال لجلدونا عليها بالسيوف وشيخ الاسلام يقول في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وكانوا يقولون اطلب قلبك في ثلاثة مواطن -

[00:26:15](#)

وذكر منها ذكر منها الصلاة وكلامهم في هذا كثير من ثم اقول ايها الاحبة هؤلاء الخشع لله تبارك وجوههم لربهم وخالقهم جل جلاله لا تكون هذه الصلاة صعبة عليهم بل تكون مؤنسة لنفوسهم - [00:26:38](#)

وارواحهم بل قد يستوحش من الناس ومجالس الناس ويأنس الصلاة ومناجاة الله بخلاف من ضعف يقينه وخشوعه فهو في الصلاة يتململ واذا طلع من باب المسجد ربما يقف بالساعة واكثر يتحدث ولا يشعر - [00:27:02](#)

لكن لاحظوا امرا وهو ان من كان يناجي ويتحدث مع من يحبه كثيرا فانه لا يشعر بالوقت يمضي الوقت الطويل وهو يلتف ولا يشعر بالتعب فكيف بمناجاة الله عز وجل - [00:27:22](#)

وهكذا العمل والمزاومات والذهاب والمجيء اذا كان يعمل في خدمة من يحبه جدا فانه يستلذ بهذا التعب وتحقيق مطالبه يحاول ان يتعرف عليها وان يبحث عنها من اجل ان يحقق ذلك - [00:27:38](#)

له هذه كلها ايها الاحبة تخفف هذه المشاق ذلك اذا كانت هذه الصلاة قد دخلها العبد بقلب حاضر يستحضر الهيئات الركوع والسجود وما يقوله فيها من قراءة وذكر ونحو ذلك - [00:27:56](#)

الا تسأل عن حال هذا والله المستعان وهكذا اذا كان العبد غير موقن بقاء الله تبارك وتعالى وانه لا يحاسب ولن يجازى او ضعف يقينه في ذلك صارت هذه الصلاة عنده عناء - [00:28:18](#)

وتعبت فهو لا يرجو باقامتها ادراك نفع ولا دفع ضر فتكون كبيرة ثقيلة فادحة في حقه كما يقول ابن جرير رحمه الله وهكذا ايضا فان هذه الصلاة تخفف على هؤلاء - [00:28:36](#)

الخشعين لانهم يعلمون بالمدخرات التي تكون لهم من هذه العبادة فذلك يخفف اذا علم الانسان قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل ويطلب رضا الله والجنة فيكون البذل في هذا السبيل سهلا - [00:28:58](#)

خفيفا وعلى كل حال دل قوله واستعينوا بالصبر والصلاة على ان اصل كل خير الذل والخضوع لله تبارك وتعالى الاخبات بقي بقية اتركها في ليلة في الليلة الآتية ان شاء الله - [00:29:21](#)

واسأل الله عز وجل ان يعيننا وياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته - [00:29:41](#)